واربعة اثمان من المكاييل المعروفة تحت من الخشب.

واما الذراع فالمستعمل منها عندهم [الذراع الطبيعية] وهي التي تمتد من رؤوس الاصابع الى المرفق اى نحو ٤٥ سنتيمتراً. والحاكم نفسه يعين مقدار امتدادها او طولها على التحقيق.

واعلم انه لا يجوز لاحد ان يعمل الاوزان والمكاييل والمقاييس ما لم يطلع عليها الحاكم ويسمها بخاتمه وقد نقش عليه اسمه او شعاره دلالة على انه يجوز العمل بها — وهنالك اشياء تباع جزافاً او قطراً [اى كوتراكما يقول اهل بغداد] مثل التين والحطب والفحم واللحم والملح وما شابهها فتباع بالتخمين والظن والنظر حسب المراضاة.

وبهذا القدر كفاية

سليمان الدخيل
صاحب جريدة الرياض

برس نمرود (تابع ص ٢٣٣ ج ١)

Birs Nemroud, Barsip ou Borsippa.

لما اخذ وجه الشمس يبدو على الافق حثثنا الشوق الى ان نسرع في الذهاب الى زيارة برس نمرود قبل ان تؤذينا شمس الربيع بحرارتها، لان لاربيع في ربوع العراق. فما كانت الساعة السابعة صباحاً الا ونحن على ظهور الجياد العراب المتعودة السير في تلك الارضين الجليلة القدر والشان في التاريخ. وكأن العناية الالهية رأت ان لا طاقة لنا باحتمال حر النهار انشأت سحباً في الجو لتظللنا طول سفرنا مع ان وجه سماء العراق سافر في اغلب ايام الربيع. وما كدنا نخرج من الحلة الا وهبت ريح غربية غريبة بدأت رخاء ثم مازالت تشتد شيئاً فشيئاً حتى غدت ريحاً صرصراً احدقت بنا من كل جانب، واخذت تذر علينا تراباً دقيقاً متلززاً متلبداً. وما كانت الساعة العاشرة الا وغدت الريح اشد ماتكون. وقامت في وجهنا غشاوة من الغبار الدقيق حتى انه لم يمكنا ان نرى مابين يدينا على بعد ٢٠ متراً. ومع هذا كله لم يدر في خلد احد منا ان يرجع القهقرى ويعدل عن الاعتمان في السير. فما زلنا نصل الوخد بالذميل حتى ضقنا ذرعاً. وكل ذلك لنشاهد ذاك البناء القديم الذي يجلب الناس من شاسع الاقطار القاصية. وظللنا سائرين الواحد بجنب الآخر بدون ان نعلم

الطريق التي نسير فيها . وزد على ذلك اننا كنا نلاقي في سبيلنا انهراً كثيرة وجداول جمة تسقي الارضين المزروعة فكانت جيادنا تغوص في وحلها فتتأذى منه ، الا ان قوتنا بادلتنا كانت عظيمة ولهذا ما كنا نخاف امراً .

لكن لما انقضت الساعات الثلاث وهي المسافة التي بين الحلة وبرس نمرود قلنا لادلتنا : اين انتم يا دليل ، واين برس ، هاقد مضت الساعات الثلاث ونحن لم نر شيئاً منه ؟ قالوا : «لاتخافوا ياقوم بل اتكلوا على الله ميسر الامور ولولا اشتداد هبوب الرياح الذاريات لرايتموه . » ومهما كانوا يقولون فاننا مازلنا نخبط في سيرنا خبط عشوآء في ليلة ليلآء . ولا نصل الى الغاية المطلوبة .

ثم قيض الله لنا ان صادفنا رعاة غنم فسألناهم عن الطريق فهدونا اليها . ومن فورنا عدلنا عن الاولى الى الثانية . ورأينا انفسنا للحال بازآء الانقاض المشهودة ، فدنونا منها فاذا هي ضخمة فخمة جليلة .

وصف تل برس Description du Tell Bors.

هو تل شاخص قد اختلف العلماء في سمكه فان استرابون الذي هو من قدماء مورخي اليونان (المتوفى في ٢٤ ق. م. في طيبار يوس قيصر في منتصف القرن الاول للمسيح) يقول ان ارتفاع هذا الهيكل الفخم ذي الطباق السبع استادة واحدة (والاستادة هي عبارة عن ١٨٥ متراً) وعرضه استادة ايضاً . وذكر فلندرن Flandrin وكوست Coste ان قياس قاعدة برس هو ١٥٤ X ١٩٤ متراً . اما ارتفاع هذه الاطلال في هذا العهد فارقام الزائرين لها لا تتفق بعضها مع بعض فان لنورمان وريش يقولان ان ارتفاعها يبلغ ٧١ متراً ، وفلندرن وكوست يجعلان سمكها ٧٠ متراً ونصفاً . اما اوپر Oppert فلا يرى ذهابها في الهوآء الا نحو ٤٦ متراً . وهناك سميط عظيم (السميط آجر قائم بعضه فوق بعض وهو الذي يسميه بعضهم شقفة حائط pan de mur) فيه خروق نافذة من الوجه الواحد الى الوجه الآخر على ابعاد متفاوتة قطر كل خرق منها يختلف بين ١٢ ، ٢٢ X ٢٢ ، من المتر ولم يستطع احد ان يهتدي الى سبب وجودها .

اما سفاح هذا التل الضخم وجوانبه العريضة فقد خددتها الامطار الغزار التي تنتاب هذه الديار ، في فصلي الشتآء والربيع . والسميط القائم هناك مائل يستهزئ بالرياح العاصفة ، والرعود القاصفة . ويشهد على ان علم الاقدمين

بصناعة البناء والهندسة كان قد بلغ شأواً بعيداً من الاجادة والاتقان . حتى ان الانسان ليسأل نفسه قائلاً : اذا اجتمع المعاصرون لاقامة بناء من طين وآجر ، هل يستطيعون ان يأتوا بمثله متانة وصلابة ولو على هيئة تل ركام كهذا التل الذى يصارع الصوان لو امكنته الحياة من النهوض والمصارعة ؟

كانت مدينة برس تعرف فى القديم باسم برسيا Borsippa او Barsip, Borsip بضم الباء أو فتحها واسكان الراء وكسر السين المهملة وفتح الباء المثلثة التحتية الفارسية المشددة وفى الآخر الف مقصورة . وقد فتحها المسلمون سنة ١٥ هـ (٦٣٦ م) واشتهر يوم فتحها بيوم برس . قال البلاذرى (ص ٢٥٩ من كتابه فتوح البلدان) : بعث سعد خالد بن عرفطة على خيل الطلب فجعلوا يقتلون من لحقوا حتى انتهوا الى برس ، ونزل خالد على رجل يقال له بسطام فاكرمه وبره ، وسمى نهر هناك نهر بسطام ، واجتاز خالد بالصراة فلحق جابنوس فحمل عليه كثير بن شهاب الحارثى فطعنه ، ويقال : قتله ، وقال ابن الكلبى : قتله زهرة بن حوية السعدى وذلك ثبت ، وهرب الفرس الى المدائن ولحقوا بيزدجرد وكتب سعد الى عمر بالفتح وبمصاب من اصيب . اه

وقال ياقوت : برس ، بالضم ، موضع بارض بابل به آثار ابخت نصر وتل مفرط العلو يسمى « صرح البرس » . اه .

والباقى من المدينة فى هذا اليوم اخربة عظيمة مقسومة الى قسمين هما تلان متجاوران متلاصقان قاعدتهما مستطيلة قائمة الزوايا يعرف الاول منهما وهو الذى على قمته السميط « تل البرس » والثانى باسم « ابرهيم الخليل » .

فاما (تل البرس) (هكذا بال التعريف خلافاً لما هو معهود فى لفظه) فكان فيه قديماً « برج برس » احد مبانى بلاد كلدية الشهيرة ، وهو البناء الذى ظن فيه انه « برج بابل او صرح بابل » المذكور فى التوراة . وقد ابقى لنا بخت نصر الملك تاريخ هذا البرج مكتوباً بحرف مسمارى مع وصف الاشغال العظيمة التى قام بها ليعيد لهذا الهيكل الضخم مجده السابق وعزه السامق . قال :

« انا بخت نصر ملك بابل قد جددت بناء الهرم والبرج ذى الطباق ، انا ابن نبوبولصر ملك بابل ، ولدنى مرودخ الاله العظيم وامرنى بتشييد معابده . ان الهرم هو اعظم هيكل فى السماء وعلى الارض ، وهو مقام مرودخ رب

الالهة. واما جددت مقدسه مكان قرار جلاله بالذهب الابريز، وجددت برجه ذا الطباق الذى هو مقر الخلد وشيدته بالذهب والفضة ومعادن اخرى، وبالاجر المرصع بالميناء وخشب السرو والارز، واتممت زينته والبنية الاولى التى هى هيكل قواعد الارض القائم بها تذكار بابل قد اتممتها، واقمت اعلاها بالطباق والشبه. واما البنية الثانية التى هى هيكل سبعة انوار السكونة القائم بها تذكار برسيا فكان قد شرع فى بنائها اول الملوك ولم يتمها الى اعلاها وبنى وبينه اثنان واربعون زمناً، ثم اهملت دهراً مديداً واعيا الملوك الذين سبقونى مقصدهم من تشييدها، فاجترفتها السيول والعواصف وزعزع زلزال الارض اللبن وحطم الآجر المطبوخ واتلف لبن الطباق فكان روابى ركاماً فشدد مرودخ الاله الكبير عزمى لاعادة بنائها قاعدتها من غير تغيير فى موقعها ولا تعطيل فى اسسها.

«وفى شهر الختام فى النهار السعيد حوطت الطباق من اللبن والطباق المشوى باروقة، وجددت السلم المستديرة ونقشت اسمى المجيد على افريز الاروقة، وقد استت البناء وجددته على وفق مارسمه من تقدمنى حتى عاد كانه قد بنى فى سالف الازمنة» اه [توفى بخت نصر فى نحو سنة ٥٦٢ ق م] فيكون عمر هذا البناء الماثل منه السعيط نحو خمسمائة والفى سنة.

وهذا البرج من اهول ما بناه البابليون واجله خطراً واعظمه شاناً، وكان بمنزلة هيكل سباعى الالهة السبعة التى يلقبونها بسبعة انوار السكونة وكانت له سبع طباق كل طبقة منها خصصت بواحد من تلك الالهة. فاول طبقة منه وهى السفلى كانت لزحل ولونها اسود. والثانية للزهرة ولونها ابيض. والثالثة للمشترى ولونها برد قانى والرابعة لعطارد ولونها ازرق. والخامسة للمريخ ولونها قرمزى. والسادسة للقمر ولونها فضى. والسابعة للشمس ولونها ذهبى. وقد ذكرنا ان من الناس من استدل على ان بابلة الالسنة كانت فى هذه المدينة وهم يقولون ان البرج المشار اليه هو البرج المذكور فى الفصل الحادى عشر من سفر التكوين وعلى ذلك تحول الحادثة المذكورة هناك من مدينة بابل الى برسيا. وقد كثرت اقوالهم فى هذا البرج واضعه وعلة بنائه على انحاء شتى. فذكر يوسيفوس ان واضعه نمرود بناه بعد الطوفان ليلوذ الناس به اذا حدث طوفان آخر. وذهب غيره الى ان اول من بناه ملك من اقدم ملوك تلك البلاد اراد ان يكون ذكراً لخلد البلبلة اى بلبلة الالسنة وذكر ان ارتفاعه اثنان واربعون

ذراعاً (او مقياساً آخر لايعلم منهو) وذهب غيره الى انه هيكل بعل الذى ذكره هيرودوتس وقال عنه انه ذو ثمانية ابراج او طباق بعضها فوق بعض وقد تقدم ذكره. وقال قوم انه كان بناء عظيماً ذاهبا فى العنان استلزم لاقامته عدداً غفيراً من العملة وكان المشتغلون فيه فى اول الامر جميعهم بابليين يتكلمون بلسان واحد فلما أتم الحال لتعجيل العمل الى ان يستعينوا بعملة آخرين من غيرهم فحشدوا لذلك بنائين ونحاتين من امم مختلفة يتكلمون بالسنة شتى. فلما كانوا فى بعض الايام هبت عواصف شديدة فقصفت رأس البرج فخيل لهم ان الالهة فعلت ذلك وبلبلت السنتهم فكفوا عن بنائه وشاع هذا الاعتقاد بين الكلدانيين من ذلك الوقت. قلنا: وما هذا القول الا تشويه كلام الكتاب الكريم وتحويله عن مجرى معناه المألوف.

ويظهر ان برسيا فى اوائل الاجيال النصرانية كانت معمورة بالابنية والهياكل وقد ذكرها استرابون على حالها الاخيرة فقال: «ان برسيا المعروفة الان باسم بورس او برس هى من المدن المشهورة بنسج الكتان وفى جملة ابنيتها هيكلان فاخران احدهما لابولون والآخر لارطاميس اخته. قال ويكثر فى نواحيها الحفاش وهو اكبر من الحفاش المعروف عندنا وهم يأكلونه وبعضهم يدخره مقدداً ومملوحاً الى حين الحاجة اليه. انتهى.

وكان فيها سابقاً اى فى عهد الكلدانيين مدرسة عامرة يدرس فيها علم الكلام وسائر العلوم العالية حتى انه لم يكن فى الشرق كله مثلها الا فى وركاء او ارك. — وقد فتحها عدة ملوك من جملتهم شلمناصر الثالث فى نحو سنة ٨٥٢ قبل المسيح. ثم استحوذ عليها اشوربنيبل (المتوفى سنة ٦٢٥ ق م) وقد جاء عنه فى التاريخ انه انتصر على شمش سمكين فى السهل واحاط ببقايا جيشه احاطة السوار بالمعصم فى بابل وسيار وبرس وكوثى. وبيناهو يحاصر هذه الثغور المنيعة اذ اقبل عليه تمريتو يناجزه فقال اشوربنيبل على ماورد فى الرقم: «ابتهلت الى اشور واشتر فتقبلا دعيتى واستمعا كلام شفتى. خرج عليه عبده اندبجش فكسره فى حومة الوغى». فاضطر المخذول الى ان يفر هارباً الى نينوى واصبح فى يدى ملك اشور العوبة لاغير. «ثم انه قبل رجل الملكيتين وعفر وجهه امام موطئ قدمى... فانا اشور بنيبل السمح اقلته من خيانته وانزلته هو وذريته وبيت ابيه فى قصرى». ولما رأى شمش شمكين ان حليفه النافذ الكلمة غادره وبقى بدون عضد بعد هذه النائبة الفجائية انهاض

عظمه ووهنت قواه الا انه ناوأعدوه الى مالا غاية من ورائه بل حتى بلغ الدماء وحدث من هذا الحصار مجاعة اكرهت فيها المحاصرون على ان يأكلوا لحوم ابنائهم وبناتهم ضنا بالحياة.

وقد حاول العرب ان يشقوا لهم طريقا في صفوف الاعداء الا ان سعيهم ذهب ادراج الرياح فسلم امراؤهم انفسهم بشرط ان يستحيوا فاستبقوا .....»

وقد جدد بناء هذه المدينة بخت نصر الكبير الذي شيد فيها ايضاً ا (نبو) هيكلاً جليلا واحاط الحاضرة كلها بنطاقين من الاسوار صداً لغارات العدو.

بقيت برس وسائر المدن المجاورة لها بيد خلفاء بخت نصر حتى جاء قاهر ممالك البغي والظلم كورش الكبير فدوخ مملكتي بابل واشور من جملة ما ذلل لصولجانه وذلك سنة ٥٣٨ ق م. ومنذ ذلك الحين انتقلت تلك الديار الى الفرس وبقيت بايديهم مدة طويلة.

ولما ظهرت راية الاسلام في العالم خفقت ايضا على هذه الانحاء كما تو هنا بذلك في مستهل هذا المقال واخرب ما بقي من تلك المباني الجليلة واليوم لا يشاهد منها الا ركام من الانقاض والغالب فيها آجر احمر او قطع من الآجر قد غشت معظم الحيطان التي تتقوم منها أسس هذا البرج ذو الطباق. وعلى قمة هذا الركام يقوم سمط ثخين كل النخن علوه قراب عشرة امتار ومبني بالطابق وقد ضم بعضها الى بعض بل شدها شداً محكماً ملاط صبر على توالب الدهر وكوارثه لا القير كما قد يمكن ان يتصوره بعضهم.

وعند اسفل هذا الحائط صخور متكومة اذا فحصها الباحث عن قرب يراها قطعاً ندرت من الحائط وقد فعلت فيها بعض العوامل النارية فعلاً هائلا لا يمكن انكاره. من ذلك: ان الآجر ملوي ليا بل مبروم برماً بدون ان يرى فيه البتة اثر كسر بل يبين انه مصهور صهراً. وقد علا غالب وجهه ضرب من الطلاء لا يعرف كنهه ولهذا اختلف العلماء فيه فمن قائل انه من حريق وقع هناك. ومن ذاهب الى ان صاعقة انقض عقابها على تلك الاكوام فصهرتها ذاك الصهر العجيب وليس هذا ببعيد في ديار العراق فان انقضاض الصواعق على شواهق الابنية معروف اذ لا تخلو سنة من السنين الا ويقع حادث او حادثان من هذا الجنس. فليحفظ.

ومما استوقف طائر بصرنا هناك مياه الفرات فان تغير مجراه على الدوام وتنقله من موطن الى موطن مما يحير له الفكر. فاليوم قد طفحت مياهه على الاراضين المجاورة لقرب غوره واتدفان عميقه بما يجره من الطين والغرين، واصبح الذهاب من برس

الى كربلاء من رابع المستحيلات وتبتدئ المستنقعات على بعد ما ئتي متر من الاخرية واما في زمان بشة جسني فان شواطئ نهر الهندية — (وهو شعبة من الفرات) الذي لم يكن اطول من خمسة اميال — كانت على بعد سبعة اميال عن برس نمرود. اما غوره هناك فليس ببعيد لان احد الرجال كان يخوض فيه خوضاً والماء دون نطاقه.

ونختم كلامنا عن برس بايراد ما قرأناه وسمعنا من غرائب الخواطر وهي : ان برس نمرود الذي قد قذف به النوى في قلب الصحراء كان في سابق العهد من الابنية الداخلة في نطاق بابل. وذهب آخرون الى انه كان بين برس وقصر بخت نصر سرب عظيم يجمع الاول الى الثاني مع ان المسافة بينهما نحو من ٢٠ كيلومتراً. وراى فيه آخرون انه هيكل (نبو) الذي تكلم عنه اشعياء في سفره الجليل وكانت بابل تفتخر به ومهما يكن من هذه الاقوال فان برس كانت داخلة في نطاق سور بابل الخارجي كما كانت كوثى ربي. وهذا ما تشهد عليه الرقم التي وجدها الباحثون وقرأها علماء الغرب. ومن ذلك ما جاء في الرقيم الذي اتت به شركة الهند وهذا معرب نصه :

« بنيت في بابل اكراماً للمعبودة الكبرى (واسمها عندهم زرفنيت) الوالدة التي ولدتني « هيكل معبودة قمة الجبال » وهو قلب بابل. وترى اخريه هذا الهيكل الى اليوم في الموطن المعروف باسم القليعة (مصغر قلعة) بقرب الحلة. وقد وجد الناقبون هناك كتابة تحوي تخصيص الهيكل للالهة المذكورة مع اسم بانيه وهو نبوخذ نصر.

« ولقد شيدت في بابل بالقير والآجر تيهاً لاصول البناء اكراماً للاله نبو الرب المطلق واهب صولجان العدل ليسوس طوائف الناس. « هيكل واهب الصولجان » هيكلاً له.

« وبنيت في بابل للاله سين (القمر) وهو الذي يلهمني الحكم والقضاء في الامور هيكل « العياء الاعظم » داراً له.

« واقمت في بابل بالقير والطابق اكراماً للاله الشمس (وهو مذكر عندهم) الذي يوحي الى قلبي شاهرة العدل « هيكل قاضي العالم » هيكلاً له. — وكان هذا البناء في المحل الذي يعرف اليوم بمشهد الشمس وهو في ظهر الحلة.(١)

(١) رأينا مشهد الشمس بنفسنا وقد سمعنا هناك بسبب تسميته قالوا انما سمي بهذا الاسم

« وبنيت في بابل على هيئة كوس او امام Quoins بالقير والآجر اكراماً للاله رمان (وزان حلال) الذي يفيض الخصب في بلادي « هيكل مانع الاضطرابات الجوية » هيكلاً له .

« وابتنيت في بابل بالقير والاجر بناء يكاد يكون مصمتاً اكراماً للمعبودة الكبرى (واسمها عندهم نانا) التي تشرح صدري وتشد ازري « هيكل الاعماق وهيكل الجبال العالية » هيكلين لها .

« وبنيت عند دخولك سور بابل بهيئة كوس إكراماً لربة دار السماء الملكة الشفيقة على هيكل « كيكفان » هيكلاً لها .

ورفعت في برسيبا هيكلاً للاله (ادار) محطم اسلحة اعدائي.

« وبنيت في برسيبا اكراماً للمعبودة الكبرى (نانا) التي تستقبل النشودتي « الهيكل الاكبر وهيكل الحياة وهيكل النفس الحية » اعاجيب ثلاثاً لها . — (وهذه الهياكل الثلاثة التي تشير الى المزية القمرية مزية المعبودة نانا والى أوجه الكوكب في هلاله وبدره ومحاقه كانت تحت هدف واحد اسم انقاضه اليوم « تل ابرهيم الخليل » قريباً من برس نمرود .

« وشيدت في برسيبا بناء ركاماً هيكل الاله رمان الذي يفجر في بلادي صاعقة النبوة .

فهذه الابنية والهياكل كانت كلها متجاورة في بقعة بابل ، وقد اتينا بذكرها ليعلم القارئ ماكانت عليه تلك الارض في سابق العهد والى ماصارت اليه في هذا الزمن . فسبحان الذي يغير ولا يتغير . الاب يوسف لويس الكرملي

لان علي بن ابي طالب كان قد وصل الى ذلك الموطن وقاربت الشمس المغيب ولم يكن بعد قد صلى فاسرعها بالوقوف فوقفت وبعد ان اتم صلاته سار في طريقها على مألوف عادتها ومنذ ذلك اليوم بقي ذلك المشهد تذكاراً لذلك الامر العجيب .

وقد رأيت من نص الكتابة التي وجدت هنالك ان سنوكدراصر (اوبخت نصر وقد توفي سنة ٥٦٢ قبل المسيح) هو الذي اقام ذلك المشهد إكراماً للاله الشمس وقد بقي ذلك الاسم الى مجيء الاسلام الى تلك النواحي فحافظوا عليه الى يومنا هذا .

وترى هنالك منارة قد تهدم منها قسمها الاعلى منذ زمن مديد ، ومنارة اخرى على شكل منارة قبر الست زبيدة في بغداد . وهي حسنة البناء مطلى خارجها بالجص .

وكل من يزور الجعفرية بذلك المقام او المشهد ينزلون عن دوابهم ليزوروه ، ومنهم من ينتظر وقت الصلاة ليقوم بها قبل ان يتم طريقه . (صاحب لغة العرب)